هيلعلاوه

هرهاظو لمعلا نطاب

ةرايزلاو سلاجلا يف ةكراشملا ةميق

ةينانثلا ةسلجلا - هـ ١٤٢١ ةنس - يلامثلا ةزمحي بأ ءاعد حرش

اهاقلا ةرضاحم
يّنيسحلا نسحم دّمحم دّيسلا جاحلا الله ةيآ
هرسد الله سّدق

@MadrastAlwahy

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا ونبينا أبي القاسم محمد
وعلى آله الطيبين الطاهرين
وعلى أعدائهم أجمعين
اللعنة

«لَا يَنَالُ حَتَّى يَدْعُوَ الَّذِي يَلِيهِ، وَهُوَ يَدْعُو الَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ الدُّعَاءُ إِلَى الَّذِي بَدَأَ بِهِ»

الحمد لله الذي يتودد إلي وهو يدعوني، والذي يحلم عني في مقابل ذنوبي وزلاتي عثراتي؛ فهو حليم صبور إلى درجة أكاد لم أرتكب ذنباً ولم تصدر مني معصية.

الفرق بين الخلق والأمر

الجانب الظاهر هو الجانب الباطن. فالجانب الظاهر هو الجانب الذي يدركه الإنسان العادي، والجانب الباطن هو جانبه الأمري، والسري، والربطي، والتعلقي. لذلك العالم، والجانب الباطن هو جانبه الأمري، والسري، والربطي، والتعلقي.

الخلق والأمر يختصان بقول الله تعالى في الآية الشريفة: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[1] أي إن الخلق والأمر يختصان به. وقول الله تعالى في آيات أخر: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾[2] و﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[3]. إن جميع هذه الآيات تحمل معنى واحداً تقريباً.

(ع) الظهور الخلقي ومنزلة الأكبر

أما قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، فالمقصود بالخلق فيه هو الجانب الظاهري للظواهر والحوادث التي تقع في العالم، فالصورة الظاهرية هي الصورة الخلقية. وعندما توجه علي الأكبر عليه السلام إلى الميدان، رفع سيد الشهداء عليه السلام يديه إلى السماء وقال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، فَقَدْ بَرَزَ إِلَيْهِمْ غُلَامٌ أَشْبَهُ النَّاسِ خَلْقًا وَخُلُقًا وَمَنْطِقًا بِرَسُولِكَ، وَكُنَّا إِذَا اشْتَقْنَا إِلَى نَبِيِّكَ نَظَرْنَا إِلَيْهِ». ومعناه: «إلهي، كُن شاهداً على هؤلاء

---

1. سورة الأعراف، الآية ٥٤
2. سورة الحديد، الآية ٣
3. سورة الروم، الآية ٧

القوم، فقد برز إليهم شابٌ هو أشبه الناس برسولك من حيث الظاهر والباطن أي الصفات الباطنيّة، ومن حيث الكلام والمنطق. وكنّا كلّما اشتقنا لرؤية رسولك، نظرنا إلى وجه هذا الشاب». لقد كان عليّ الأكبر عليه السلام يتكلّم كالنبيّ، وكانت نبرة صوته وكيفيّة كلامه كرسول الله صلّى الله عليه وآله. أي أنّه كان يُشبه النبيّ في سلوكه، وطريقة مشيه، وأفعاله. هل رأيتم كيف أنّ بعض الناس يُشبهون آباءهم بشكلٍ عجيب، أو يُشبهون أجدادهم في تصرّفاتهم وحركاتهم، أو يُشبهون أحد أقاربهم؟ فعلى سبيل المثال، تكون طريقة كلام أحدهم، ومواقفه، وتعامله مع القضايا، والحالات التي تُسبّب التغيير فيه، وعجلته أو تباطؤه في الأمور، وكيفيّة أفعاله، بحيث يبدو وكأنّه مرآةٌ لذلك الإنسان، وعندما نشير إليه نقول: «هذا الرجل كالتفاحة التي قُسِمت نصفين!».

يقول الإمام عليه السلام إنّ عليّاً الأكبر عليه السلام كان شديد الشبه بجدّي رسول الله صلّى الله عليه وآله، حتّى إنّهم كانوا كلّما اشتاقوا لرؤيته، نظروا إليه. كان علي الأكبر عليه السلام هو الابن الأوّل لسيد الشهداء عليه السلام. أمّا الإمام السجّاد عليه السلام فكان الابن الثاني، ويبدو أنّه من حيث ملامح الوجه لم يكن يُشبه الإمام الحسين عليه السلام، بل كانت له ملامحه وشمائله الخاصّة، وكان يُشبه والدته. وكانت والدة الإمام السجّاد عليه السلام هي السيّدة شهربانو، ابنة ملك فارس، وقد توفّيت حين وُلد حضرته. حقّاً، لا يعلم الإنسان ما هي أفعال الله وماذا يقدّر!

فالخَلْقُ يعني الجانب الظاهر، وعالم الشهادة هو نفسه عالم الخلق. وبمعنى خاصّ، يُطلق على كلّ ما تدخل فيه جهتا المادّة والزمان اسم "الخَلْقيّات"، ويُعتبر جزءاً من عالم الشهادة.

حدودُ الإدراكِ الحسّيّ وعالَمُ الأمر

في مقابل عالم الخلق يقع عالم الأمر، وهو متعلّق بعالم ما وراء المادّة، أعمّ من عالم المثال، والملكوت، والجبروت، واللاهوت، وعالم الأسماء والصفات الكلّيّة، وهذا العالم ليس مشهوداً لظاهرنا.

إنّ شهود ذلك العالم ورؤيته لها أسبابها وأدواتها الخاصّة، ولا يمكن لأحدٍ أن يرى عالم البرزخ والمثال بهذه العين المادّيّة. فهذه العين مكوّنة من مجموعةٍ من المواد التي يتوافق تركيبها مع الخصائص الفيزيائيّة لعالم الشهادة والخلق. فالشبكيّة، والعدسة، والبؤبؤ، والقرنيّة، والجسم الزجاجيّ، كلّها مصمّمةٌ لتعكس الضوء وترسله إلى العصب.

هذا هو النور الظاهر الذي ينعكس عن الأشياء، وفي الحقيقة لا تنطبع صورة الأشياء في العين، بل هو النور الذي يمتصّ جزءاً من الفوتونات ويُطلق جزءاً آخر عندما يصطدم

بأماكن مختلفة، ومع عودة تلك الفوتونات المُطلَقة، تظهر صورة الأشياء. فعلى سبيل المثال، عندما يسقط الضوء على وجه إنسانٍ ما، فإنّه يمتصّ مقدارًا من هذه الفوتونات ويعكس مقدارًا آخر، وذلك الانعكاس يصل إلى أعيننا، فنرى أنّ ذلك الإنسان له جبهةٌ وحاجبان وعينان وجفنان وأنفٌ، وأنّ لحيته بيضاء أو سوداء، ولون وجهِه أبيض أو أسمر أو أحمر أو أصفر؛ في الواقع، عندما يسقط هذا النور على شيءٍ ما، فإنّ انعكاسه يصل إلى العين.

لديّ الآن في ذهني صورةٌ لهذا السيد الذي نجلس أمامه، وهذه الصورة تختلف عن صورة ابنه الشاب، فابنه أصغر سنًا. هذا الاختلاف ليس بسبب الصورة التي يحملها هذا الجسم، بل لتلك الصورة تختصّ بهذا البدن؛ في الحقيقة، إنّ جميع مدركاتنا بسببها النور. فلو أطفأنا المصابيح، لتحوّل علمنا إلى جهلٍ، ولم يعد هناك شيء.

هل أدركتم الآن كم أنّ علمنا واهٍ وبلا أساس، وأنّه متّصلٌ بمجرّد مصباح! إذا أُضيء هذا المصباح، حينها سترون حسنًا، وحسينًا، وتقيًّا، وزيدًا، وعمرًا، وبكرًا، جميعهم يجلسون هنا بوجوهٍ مختلفة. أمّا إذا لم يُضأ هذا المصباح، فلأنّه لا يوجد نور، فإنّنا عندما تتحرّك نركل هذا ونركل ذاك، ونمرّ فوق رأس أحدهم ونمضي قدمًا! هكذا يكون حال الإنسان إذا تحرّك من دون نور، يركل هذا وذاك ويُخرّب العالَم!

النور الظاهر والنور الباطن كلاهما نعمة! عندما يسقط النور على مواضع معيّنة من الجسم تكون بيضاء، ينعكس نُورٌ أكثر، وعندما يسقط على أماكنٍ أسود من الجسم كالحاجب، ينعكس نُورٌ أقلّ، وهذا الانعكاس يُكوّن شكلًا، وهذا يخصّ عالم الشهادة. يمكن للعين أن تُدرك هذه المسألة إذا توفّرت العلل المُعدّة للإدراك.

حقيقةُ الرؤيا وتجرُّد النفس

ولكن إذا أراد الإنسان أن يطّلع على عالم الأمر وما وراء المادّة والميتافيزيقيا، فإنّ العين الظاهريّة لا تنفع هنا. هناك، حتّى لو أغمضت عينيك، فإنّك سترى! فالإنسان يرى الأحلام وعيناه مغلقتان! فالعين المُغمضة لا ترى، إذن ما الذي نراه ونعتبره حقيقةً ونحكم على تلك الرؤية بأنّها الحقيقة؟! وبالطبع، لها واقعيّة أيضًا!

على سبيل المثال، عندما ترى إنسانًا حيًّا في منامك، وتلتقي به في اليوم التالي، تقول له: «ياعزيزي، لقد رأيتك في المنام الليلة الماضية».
فيقول لك: «يا عزيزي، ها أنا ذا أقف أمامك، لقد كنتُ في بيتي البارحة وأنت كنتَ في بيتك، فكيف رأيتني في المنام؟».
فتقول له: «يا عزيزي، لقد رأيتُك أنتَ بالذات في المنام».

فيقول: «عزيزي ها أنا ذا أقف هنا وأنت تراني! أنا لم آتِ إلى منامك، فمنزلي كان في مكانٍ يبعد عدّة فراسخ!».

تسيلناسنلإا ةقيقحلا نلأ ؛حيحصلا وهو «تاذلابتنأ كُتيأر دقل ،يزيزعايلا» :لوقتف

:لوقيأدحأ نوفرعتلهف!مريغ ىأر دقنوكي ،مانملا يفرخآ ناسنإٌدحأ ىأر اذإ ثيحب ،هندب

!؟«تنأ نكتملو مانملا يفكترو صدُتيأر دقل»

حتّى الماديّون والذين يُنكرون الميتافيزيقيا وما وراء الطبيعة، إذا رأوا إنسانًا في المنام لا يقولون: «رأينا صورته»، بل يقولون: «رأيناه هو نفسه في المنام!». وهذه هي المسألة التي يقع في فخّها الماديّون ومنكرو الميتافيزيقيا! إنّ مسألة النوم مشتركةٌ بيننا وبين الدهريّين والطبيعيّين والقائلين بأصالة المادّة. يقول أحدهم: «رأيتُك البارحة في المنام». فيجيبه الآخر: «أنا لا علاقة لي بك أصلًا! أليست الأصالة للمادّة؟! المادّة هنا، وأنا في مدينةٍ وأنت في مدينةٍ أخرى، فما العلاقة بيننا؟ إذن لماذا تقول: رأيتُك؟ قل: رأيتُ صورتك». وإذا قال: «رأيتُ صورتك»، نقول له: «أنت لم ترني أصلًا من قبل، فكيف رأيت صورتي؟!».

نكميلافإ!اًباوجةّدامللةلاصأبنولئاقلاونوّيعيبطلاونوّيرهدلاءلاؤهدجيلا ،اذهو

،وحنلااذهبلّجتن؛ايّلجتاهلةقيقحلاكلتو ،ةقيقحنيدبلااذهءارونّأيهو ،ةلأسملامذهراكنإ

!أدبملاكلذىلإلصتىّتحاًدوعصاذكهو ،رخآٍوحنبلّجتو

ةفلتخملا تُاروهظلاو ُةيفخلا ُةقيقحلا :ءابرهكلا ُلاثِم

هذا المصباح مضاءٌ هنا الآن، وما نُشاهده في هذا المصباح هو النور، أمّا التيّار الكهربائي فأنتم لا ترونه - وإن أردتم يومًا أن تختبروا وجوده، فلا ينبغي أن تلمسوا هذين السلكين، لأنّ خطر الصعق الكهربائيّ يُهدّدكم - وعندما تسألون: «ما هو التيّار الكهربائي؟» يقولون: «هو هذا المصباح نفسه». فتقولون: «إذن لقد عرفنا التيّار الكهربائي». فيقولون: «لا، هذا النور الذي تُشاهدونه الآن هو ظهورٌ لتلك الكهرباء وتلك الحقيقة الكهرومغناطيسيّة التي تجري الآن بشكلٍ متناوبٍ في هذا السلك، وتلك الحقيقة مجهولةٌ بالنسبة لنا».

انظروا إلى المدافئ الكهربائيّة، هذه المدافئ تُعطي حرارة، فظهور الكهرباء هنا ليس على شكل نورٍ بل على شكل حرارة. كُنّا في منزلِ أحدِ الأصدقاءِ في إحدى الدُّوَلِ، فرأيتُ أنَّ المَوقد غيرُ موصولٍ بالغازِ أصلاً. فقلتُ له: «كيفَ يَعمل؟» قال: «إنَّهُ كهرُبائيّ، واقتصاديٌّ جدًّا». وكانَ نظيفًا جدًّا، وجميلًا، وأنيقًا. وكُنّا نُعِدُّ عليهِ الطعامَ والشايَ أيضًا. فهذا الظُّهورُ للكهرباءِ لا نُورَ فيه، فتَبْرُزُ هنا وتَظْهَرُ تلكَ الحقيقةُ والواقعيّةُ على هيئةِ حرارة.

تيقبأولو ،امٍةقاطلعفباهتارفشكّرحتت ،ةحورملا لمعتامدنع ،لاثملا ليبسىلعوأ هذهنّكمتتنلف ،كّرحملا اذه فلخٌةقاطدجوتلا امالطف ،ماعةئماهناكمي فةحورملا هذه سيلاذه ءابرهكلا روهظ.ةكرحلابأدبت ،ءابرهكلابا هلصتامدنعنكلو .ةكرحلا نمتارفشلا

.ةكرحىلإ ةيئابرهكلا ةقاطلا تلوّحتدقل ،ةقيقحلا يف ؛ةرارحلاوارًوند

إنّ الحقيقة الكامنة الآن خلف هذا المصباح والتي لا نراها هي الكهرباء، ولها ظهورات مختلفة على شكل مصباح، ومروحة، ومدفأة. لا يمكنكم إدراك هذه الحقيقة

بأعينكم، ولا تحتاجون إلى جهازٍ يُظهر لكم هذه القوّة الكهربائيّة (الفولت). هذا الجهاز يُظهر لكم تلك الحقيقة التي لا يمكن لمسها باليد.

يقول مولانا جلال الدين الرومي:

حَق همى گويد كه اى مغرور كور ** نه ز ماهم پاره پاره گشت طور

والمعنى:

يقول الحقّ: أيّها الأعمى المغرور! ** ألم يتصدّع من مسيي جبل الطور؟!

لو اطّلع الناس على تلك الحقيقة، لما استطاعوا الصمود لحظةً واحدة، ولو تجلّت تلك الحقيقة على الأفراد، لاستحال على أحدٍ أن يصمد! إلّا أنّ الله تعالى يقول: ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1] عندما يتشدّش شيءٌ من الجناب الجلالي للربّ تتلك الجبال من صفات الله وأسمائه على شيءٍ ما أكثر من حدّه، يخرج عن صيغته وتلك الجبال من قدرته ميزانيه الفيزيائيّة، فينفجر فجأةً، ولا تعود تلك الجبال قادرةً على تحمّل هذه الخصائص.

وهذه المسألة تتحدّث للإنسان أيضاً في طريق السلوك والعرفان.

هذا الجناب هو الجناب الأمريّ. يعني أنّ عالم الملكوت وعالم الجبروت هو الجناب الأمريّ لعالم الوجود. بالطبع، للخلق بالمعنى الأعمّ معنى آخر يكتسب بعداً فلسفيّاً، ولن ندخل في تلك القضيّة، والذي يشمل على هذا الأساس الحيثيّة التعلقيّة الربطيّة فقط دون أيّ ظهورٍ خارجيّ، يُطلق على ذلك الجناب الربطيّ اسم "الأمر"؛ وهو نفسه جناب إرادة الربّ بالنسبة للظهورات الأشياء. أمّا الظهورات نفسها، حتّى المجرّدات، فهي مشمولة لعالم الخلق، وهو معنى توسيعيّ.

الغفلة عن باطن العالَم والعمل

يقول تعالى في آيةٍ أخرى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[2] أي إنّ الكفّار وأهل الغفلة قد علموا ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة غافلون. إنّهم لا يرون سوى ظاهر الحياة الدنيا، والذهاب والإياب، والحركات، والمعاملات، أمّا ما هو موجودٌ خلف القضيّة فهم غافلون عنه.

---

1. مثنوي معنوي، ج ٢، ص ٢٠٢.
2. سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

ولعمل الإنسان جانبان أيضاً: الجانب الظاهر، وهو الجانب الذي يقوم به. فمثلاً، أنا أتحدّث الآن، ولحديثي هذا جانبان: جانبٌ ظاهرٌ وما تستمعونه وتسجّله أجهزة التسجيل من حولي، وهو يُماثِلُ تماماً الكيفيةَ التي يَدخُلُ بها الصوت إلى الأذن، فبعدَ عبوره غشاءَ طبلةِ الأذن، ينتقلُ إلى العصب، ليحمله العصبُ إلى قسمِ السمع في الدماغ؛ كما أنَّ هذه الكيفيةَ تتحوّلُ هنا في الأجهزة أيضاً إلى صوتٍ وموجةٍ كهربائيَّة، وعن طريقِ تحرّكِ تلك الجزيئاتِ المغناطيسية، يُحفَظُ الصوتُ على الشريط، حيثُ يقومُ «رأسُ التسجيل» بنقلِه إلى الشريطِ عبرَ الطاقةِ الكهربائية. هذا الجانبُ هو الجانبُ الظاهري، ووسيلةُ إدراكِه هي هذه الأسبابُ الظاهرية، أي الأذن التي يَصِلُ الصوت عن طريقها إلى الجهازِ العصبيِّ المركزيّ في الدماغ.

وجانبٌ آخر باطنيّ متعلّقٌ بنفسي، وهو جانبٌ لا يمكنكم إدراكه. إنّ آذانكم عاجزةٌ عن إدراك ذلك الجانب، وهو عبارةٌ عن نورانيّة الفعل الذي يصدر منّي الآن أو ظلمانيّته، وهو ما يُسمّى بالجانب الباطن.

فعلى سبيل المثال، الكلام الذي أقوله إمّا أن يكون لله، وإمّا أن يكون للتباهي والظهور، كأن نُقيم مجلساً لنقول إنّ لدينا مجلساً وإنّ مجلسنا دائماً ما يمتلئ! وحتّى لا يظنّ البقيّة أنّنا ليس لدينا مجلسٌ في ليالي شهر رمضان! الحمد لله، لقد وفّقنا الله لأن يكون لنا مجلسٌ في ليالي رمضان كما كان **للمرحوم العلامة** مجلسه، وهذا من توفيقات الله!

مكائدُ الشيطانِ في النيّات

كلّ هذه الأمور هي من الجانب الباطن. يجب أن ننتبه جيّداً؛ فالشيطان يأتي لكلّ إنسان من طريقه، ويصيب الهدف ويمضي بحيث تستمرّ لسبع سنوات ونحن لا ندرك أنّه قد أصابنا! إنّه يُظهر الله في مقدّمة العمل، بينما لا وجود لله في الأمر أصلاً!

ولكن قد نقول مرّةً: «يا ربّ، إنّنا لا نفقه شيئًا، وقد اجتمعنا هنا من فرط عجزنا. يا ربّ، لو كان هناك طريقٌ آخر لسلكناه، يا ربّ، إن لم نفعل هذا فماذا نفعل؟!». هذه الجهات هي الجانب الباطن. قد أُلقي محاضرةً بدافع الشهرة، ولكي يقول الناس: «نعم، انظروا إلى هذا، له مجلسٌ في قم، وتسجيلات مجالسه تُبثّ وتصل إلى الجميع». وأمثال هذه الأقاويل التي نسمعها؛ إذا كان الأمر لهذا السبب، فلا نُتعبنّ أنفسنا، فلا خبر هناك! حتّى هذا الكلام الذي أقوله الآن هو خدعةٌ من الشيطان! هذا الشيطان ماكرٌ جدًّا!

هل يا تُرى كلّ معلّمي الأخلاق، وهم يتحدّثون، يدركون إلى أيّ مدى هم غارقون في مستنقع النفس؟! هؤلاء الذين يتحدّثون، هل هم منتبهون؟! كلّا، ليسوا منتبهين! العجيب أنّهم

قد يشعرون بتغيّر في حالهم، وذلك التغيّر في الحال يصبح هو الفخّ! لقد تغيّر الحال، والدموع تسيل من العين، ولكنّ ذلك كلّه فخّ!

وهذا من المواضع التي يجب على الإنسان أن يلجأ فيها إلى الله؛ فالأمر يخرج من يد الإنسان! إنّه الموضع الذي يصبح فيه الحال نفسه حجابًا ومانعًا للإنسان، ويصبح الحال نفسه نقيضًا لهذا المسار وحالة التوجّه والتقرّب.

خُدعةُ الأحوالِ المعنويّة وضابطةُ الاستقامة في الطريق

لذلك كان **المرحوم العلامة** يقول: «لا تلتفتوا إلى الحال، بل انظروا هل طريقكم صحيحٌ أم لا!». كم مرّةٍ قال سماحته هذا الكلام؟ وأيّ واحدٍ منّا عمل به؟!

لقد شهدتُ بعض الأفراد كانوا يحضرون في مجالسه وكانوا يقعون في حالة إغماء من شدّة البكاء، ولكنّي كنتُ أرى كلّ هذا زبدًا وفقّاعاتٍ وظاهرًا! وكنتُ أرى أنّ أولئك الأفراد لم يكن لديهم باطنٌ. إذن، لأيّ شيءٍ هذا البكاء؟! كنتُ متحيّرًا ما هذا! وكما يقول المثل: «هل أصدّق ذيل الديك أم أصدّق القسم بالعبّاس عليه السلام؟!». عندما كان يتحدّث معي أحدهم، كنتُ أرى أنّه لا يُستفاد شيءٌ من كلامه، ولكن في الظاهر كنتُ أراه يُغشى عليه في الصلاة ويسقط أرضًا! ففي الأخير، توجد علاماتٌ ظاهريّة، وهذه ليست كذبًا؛ ثمّ كنتُ أرى، كلّا، كلّ هذا كان فقّاعاتٍ، وبالطبع قد لا تقتصر هذه الفقّاعات على مرتبةٍ واحدة، بل قد تكون فقّاعاتٍ حتّى في مراتب أعلى!

آدابُ إقامةِ المجالسِ والإخلاصُ في النيّة

ولكن إذا جئنا إلى هنا وقلنا: في النهاية، كان **للمرحوم العلامة** مجالس، وهو نفسه قال إنّه يجب أن تبقى هذه المجالس قائمة، فإذا أردنا نحن أيضًا أن نطيع أوامره، سواء هنا أو في منازلنا، فيجب علينا أن نقرأ دعاء الافتتاح. ومن جهةٍ أخرى، قال: «يجب أن يكون للرفقاء مجلسٌ في الليالي» فهل هذا الكلام الذي قاله سماحته كان مشروطًا بزمانه هو فقط، أم أنّه يشمل الزمان الذي يليه أيضًا؟! فليأت بِضعةُ أصدقاء في ليلةٍ من ليالي شهرِ رمضانَ ويَجلسوا معًا، فإنْ كانَ حالُهُم يقتضي ذلك، فَليَجلسوا ويقرؤوا دعاءَ الافتتاح. هذا الأمرُ صحيحٌ أيضًا، فهذا ليسَ فعلًا يصدر هكذا من تلقاءِ أنفسِنا، بل علينا أن نقوم به بتدرّجٍ وتأنٍّ، وأن لا نفعله دفعةً واحدة، وأن نُصلح الأسس أوّلًا في أذهاننا وأنفسنا، ثمّ نقوم به، لا أن نقول فجأةً: «لا يا عزيزي، سنشكّل جلسة»!

شرط السير الصحيح: التثبّت

انتبهوا إلى أنّ السالك كلّما أراد أن يقوم بعملٍ، يثبّت موطئ قدمه أوّلًا ـ ولا بأس إن طال الأمر ـ ثمّ يخطو. إذا لم يثبّت موطئ قدمه، فإنّه لا يخطو! ثمّ نقول: يا ربّ، الآن حيث إنّ

المرحوم العلامة ليس موجودًا، فلو كان موجودًا، استأذناه: هل نعقد مجلسًا في قم أم لا، وكان سيقول على الأرجح بحسب الظاهر: «عقدوا مجلسًا» لأنّ هذا كان دأبه ورؤيته، ونحن نريد أن نعمل وفقًا لأوامره. ولكن إذا قلنا: «يا ربّ، إن كان الأمر على غير هذا، فأرِنا أنتَ الخلاف الذي نحن عليه بطريقةٍ ما! يا رب، لا يسعنا غير هذا!» فيقول الله: قَبِلتُ، ولكن كُن صادقًا معي بهذا المقدار: إني لو لم أرَ المصلحة في أن تعقد جلسة، ألّا يَشُقَّ عليك ذلك، وألّا تقول: "لِمَ لا ينبغي أن نعقد جلسة؟! ماذا سيقول الناس إن لم تكن لدينا جلسة؟! إن لم نعقد جلسة سيذهب الناس إلى بيوتهم تدريجيًا واحدًا تلو الآخر! فلنأتِ ونجلس ونجمع هؤلاء الناس ولا ندعهم يذهبون! لنضع عند الباب جهاز تسجيل حراريّ الحضور والغياب ونسجل الحضور! يجب أن نُظهر أنفسنا ونحافظ على انسجامنا لئلا يقول الناس: إن هؤلاء قد أصابهم "الوهن"!» إن ما أقوله لكم واقعي. يا عزيزي، لا توجد فائدة في هذه الجلسات، فلا تُتعِب نفسك عبثًا! بل عدم مجيئك أفضل، لأنّ موقفك - على الأقل - لن يزداد تعقيدًا ولن يسوء أمرك أكثر من هذا! ولن تزداد تورّطًا في الوحل في مسلكك، ولن تغوص في الطين. إن لم تأتِ إلى هذه الجلسات فأنت وشأنك، ولكن إذا فعلت، فسيُضاف الثِقل إلى حِملك! وما أقوله لكم، هو قانونٌ يُطبَّق علينا نحن أيضًا؛ فالقانون واحدٌ ولا فرق، من عَمِل فقد عَمِل؛ ومن لم يعمل، فإنّ قانون الله وميزانه لا يتوافق. ولكن إذا قلنا: «يا ربّ، هذا ما في وسعنا وما يصل إليه فكرنا، فإن كان لدينا مزاج مساعد، فإنّنا سنحضر المجالس، وإن لم يكن لدينا مزاج مساعد، فلن نحضر. دعهم يقولون: فلانٌ لا يأتي، يأتي يومًا ويغيب آخر!» بالطبع، يجب أن يكون الإنسان منظّمًا، ولكن يجب أن يكون النظم تحت القانون! فالنظم ليس في الحضور بحدّ ذاته، بل في أنّه إذا سمحت الحال، فعلى الإنسان أن لا يُقصّر. يجب أن يكون النظم مبنيًا على أساسٍ وقانونٍ ومعيار! كان المرحوم العلامة يقول: «من لا تقتضي حاله، فلا يحضر الجلسة؛ لأنّه إن جاء أفسد حال البقيّة أيضًا». بل إنّه كان يقول صراحةً لبعض الذين كان بينهم نزاع: «انزلوا أنتم إلى القسم الأسفل من المنزل، ولا داعي لأن تشاركوا في الجلسة!» وإنَّ مَن يقصّرُ مع التفاته لهذه المطالب، فإنّه مغبون! وإذا شعر بأنَّ المجيء مفيدٌ ولم يأْتِ، فهو مغبونٌ أيضًا! كان أحدهم يقول كلامًا صحيحًا، وطبعًا بحسب نظره كان يريد تقييم المطلب بشكلٍ صحيح، كان يقول: «سيّدنا، هل مقصودكم من هذا الحديث الذي تفضّلتم به هو أن يصل كلامكم إلينا، أم

أنّنا يجب أن نشارك في الجلسة حتمًا؟ فإذا كان قصدكم هو وصول الكلام، فلماذا يجب أن نشارك؟ [بما أنّنا نستطيع أن] نستمع إلى الشريط!»

يف ؟عراشلا يف يشمتو أ تيبلا يف سلجتسـ ?ب هذتسن يأف كراشت مل نإ ،اًنسح :تُلقف

كرديـن أ و هلصلأاو دوصقملا لب ،تأت لا و أ لاعت مكل لوقأ لا انأ .امٍلمعب موقتس ةياهنلا

كئلوأ بلاطملا ىلع علّطي يكل تعضِوُ ءامظعلا اهبتكي يتلا بتكلا نَّإ .بلاطملا هذه ناسنلإا

رٍاسم يف ًةبغار امٌسفن تناك اذإ نكلو .ةملّاعلا موحرملا ىلإ لوصولل مهل ليبسـ لا نيذلا

ىعستو ،دصقملا كلذ ىلإ لوصولل ةَّدِعُملاو ةبرَِّقمُلا ءاوجلأاو طورشلا كلتل ّبقتت اهنإف ،نيعم

لهٌ وأ !"؟هارن بجي اذامل' لوقت نأ **ةملاعلا موحرملا** نمز يف ثدح له :هلُ تلق .اهفلخ

هتيؤر درّجمّن إ :لوقن لب ،ّلاك!"؟هبرمأ يذلا ركذلا يّدؤن وانيلإ هملاكلصين أو هدوصقملا

.بٌّرقت اهتاذّ دحب يه

ةقّرشملا دهاشملا ةرايز ُةفسلف

لماذا يجب علينا أن نذهب لزيارة الإمام الرضا عليه السلام؟! فنحن نستطيع أن نقول من مكاننا هنا: «السلام عليك يا عليّ بن موسى الرضا». لماذا قال الإمام الرضا عليه السلام: «من زارني أتيته في ثلاثة مواطن: عند الاحتضار، وعند سؤال الملكين، ويوم القيامة عند الحساب»؟[1] أي أنّه يأتي في المواطن الثلاثة الحرجة! فنقول للإمام الرضا عليه السلام: «يا مولانا لقد أتينا». لم يقل الإمام عليه السلام: «تعالوا بحقيقةٍ ومعرفة»، بل قال: «تعالوا وزوروا»، ونحن قد أتينا!

لم يقل الإمام عليه السلام: «من زارني عارفًا بحقّي»، بل قال: «من زارني». ونحن نقول: «نحن أناسٌ قليلو الفهم، وعليك أن تأتي إلى قليلي الفهم!» فسيأتي حينها الإمام إن شاء الله، فهو في منتهى الرحمة! أمّا قولُ الإمام الرضا عليه السلام بأنَّ مَن قَرَأ الزيارةَ ولَوْ مِن بُعْدٍ فذلكَ كافٍ، فمعناهُ أنَّها كافيةٌ لِمَن لا يستطيعُ الذَّهابَ للزيارة. إنّ رغبة الإنسان في لقاء محبوبه هي مسألةٌ فطريّةٌ ووجدانيّة. الآن وحيث إنّ أيدينا لا تصل إلى تلك الولاية، فلنذهب على الأقلّ ونزر مرقده الشريف. إنّ زيارة مرقد الإمام المطهّر هي زيارةٌ للولاية؛ وإلّا، فإنّ ولاية الإمام تقترن بالجميع دائمًا، وهي أقرب إلينا من أنفسنا.

---

[1]: ٣٠٤ ص ،تارايزلا لماك

:اهِلاوْهَأ نِمْ ُهَصِلّخَُأ ىَّتح َنِطاوَم ِثلاَثَ ىفِ ِةَمايِقْلا َموَيْ ُهُتيتَأ يِرازَمِن وطُْشو َ يِراد ِدْعُب ىلَع يِنَرازَ نَم«

.لًاامِشو َ اًنيمَي ُبُتُكْلا ِترَياطَت اذإِ

.ِطارّصِلا َدنع َو

«.ِنازيمِلْا َدنع َو

إنّ كلّ منَ يُحبّ محبوباً، يريد أن يقرّب نفسه منه، وهذه من القضايا الفطرية التي
"أيةُ ساتهُأ معهَا" وآلا نحديث إنّ الإمام عليه السلام يدل سحاضرًا بينيا، فإنّنا ذهب نوزورقبه

وبدنه. إنّ تعلّق الولاية بذلك البدن أقوى من سائر جهات الامام الكثيرة! ويجب على الإنسان أن

يذهب إلى هناك ويزور. لذلك قيل الإمام: «من زارني» أي: أن يذنب لشيئًا من نفسه ولا يكتفي

وقبل: «حنمن شيعتكم» فمن كان من شيعتنا، عليه أن يقرّب نفسه منا ويدخل في هذا الحريم!

عطات از دستناید گهنیابید کرد ***رد لدوست به هرحیله هر بایدکرد

ويقال:

إن لم يتيسّر الطاعة، فلا بدّ من أن تركب اذن *** لا بدّ من شقّ طريق إلى قلب الحبيب

بأيّ حيلة.

لا بُدَّ مِن تَدَبُّرِ حيلةٍ ما لكي يضعَ الإنسانُ نفسَه في حَرَمِ ذلكَ المحبوب. فمَن يأتي لزيارةِ الإمام، فكأنَّهُ يقول: «ها أنا ذا قَد جِئتُ».
في الوقت الراهن، يذهب الناسُ لزيارة الإمام الرضا عليه السلام في ساعةٍ واحدة،
بينما كان الأمرُ يستغرقُ سابقاً ثلاثةَ أشهرٍ، بل كان من المُتَحمِّلِ أن يفقدوا أرواحهم في
طريقِ زيارته! فقد كان اللصوصُ يُغيرون على القوافل ويُبيدون مَن فيها، ورغم هذا الوضع

كان الناسُ يذهبون للزيارة!

والذينَ كانوا يقصدون زيارةَ سيّدِ الشهداءِ عليه السلام في زمنِ المتوكّل، كان يُقتَلُ
منهم واحدٌ من كلِّ اثنين، ويُؤذَنُ لآخر بالذهاب للزيارة! ومع ذلك، استمرّ الناس بالذهاب
للزيارة! ومَن يُقتل في هذا الطريق فهو شهيدٌ قطعاً! وهذا الجانبُ، هو الجانبُ الباطنيّ.

تأثيرُ طهارةِ الباطنِ وخُبثِهِ في الكلام

إنّ هذا الكلام الذي أقوله له جانبان:

جانبٌ ظاهرٌ وهو المشهود والمسموع للجميع.

وجانبٌ آخرُ باطنٌ لا يدركه كلُّ أحد، وإدراك الجانب الباطنيّ لطيفٌ للغاية إدراكٌ خاصّة.

---

[1] بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ٤٠٣: «إنّ المتوكّل من خلفاء بني العباس كان كثير العداوة شديد البغض لأهل بيت الرسول و هو الذي أمر الحارثين بحرث قبر الحسين عليه السلام و أن يخرّبوا بنيانه و يخفوا آثاره و أن يجروا عليه الماء من نهر العلقمي بحيث لا تبقى له أثر و لا أحد يقف له على خبر و توعّد الناس بالقتل لمن زار قبره».

چو بِشنَوی سخُنِ اهلِ دل مگو که خطاست ** سخُن‌شناس نه‌ای جانِ من خطا اینجاست

والمعنى:

أخطأ، والخطأ هذا. ** إذا سمعت كلام أهل القلوب فلا تقل إنّه خطأ

ويقول أيضاً:

أنا را جمال توست در دیده هر مؤمن ** آثار جلال توست در سینه هر کافر

والمعنى:

أنا مرآة جمالك في صدر كلّ مؤمن ** وأنا مرآة جلالك في صدر كلّ كافر

الخبير بالكلام يُميّز فيه مصدر هذا الكلام، هل هو الهوى أم الله؟ بعض الذين لديهم خُبثٌ في الباطن، عندما يتكلّمون، يتّضح من كلامهم مدى خبث باطنهم، وهذا لا يدركه كلّ الناس. كان هناك رجلٌ في الماضي، خطيبٌ مفوّهٌ وموهوبٌ جداً، وله كتبٌ عديدة. لم أكن أعرفه ولم أسمع صوته، ولكنّي قرأت كتبه. في يومٍ من الأيّام، قبل ٢٢ عاماً، كنّا في منزل أحد الأصدقاء ـ حفظه الله ـ في مشهد، وكان هناك مسجّلٌ ولم يكن صاحب البيت موجوداً، فشغّلته فانبعث صوتٌ بالتحدّث، وفي تلك اللحظة انقبض قلبي فجأةً وقلت: «يا للعجب، من هذا؟! أيّ أعجوبةٍ هذا! بمجرّد أن تكلّم غيّر حالي، وظهرت في حالةٌ من الظلمة والكدورة!»

قلت لصديقي: «من هذا؟!»

قال: «إنّه الدكتور علي شريعتي».

قلت: «هذا؟! ما سبب حالة الظلمة هذه؟ هذا ليس أمراً اعتباريّاً، فأنا لم أسمع بصوته ولم أكن أعرفه شيئاً، فلماذا حدثت هذه الحالة؟! لأنّ تلك الجهة الظلمانيّة تنتقل! آثار جلاله في صدر كلّ كافر» عندما يكون لدى إنسانٍ كدورة، فإنّ كدورة النفس تتصاعد من صوته! وفي المقابل، الإنسان الذي يتمتّع بنورانيّة النفس، فإنّ صوته يغيّر الحال. استمعوا إلى شريطٍ واحدٍ **للمرحوم العلامة** وانظروا هل يتغيّر حالكم إلى الأفضل أم لا؟ عندما يقول: «بسم الله الرحمن الرحيم» يتقلّب كيان الإنسان! هذا بسبب ذلك الجانب الأمريّ. «بسم الله الرحمن الرحيم» يقولها

ةفاسم ،ةملاعلا موحرملا اهلوقيي تلاو اذأ اهلوقأ يتلا نيبد نكلو ؛أضيأ اهلوقأ اذأو ،عيمجلا ةيضقلل يطابلاو سيرملأاو سينابرلا بناجلا ببسب اذهو !شرعلاو ضرلأا نيبةفاسملاك.

عندما يتكلّم، يتقدّم معه ذلك الجانب الأمريّ، وعندما تنطبع «بسم الله الرحمن الرحيم» في الأذن، تنطبع في النفس في الوقت نفسه الجهة الرحمانيّة! وهذه الكيفيّة تعود إلى ذلك الجانب الأمريّ للمسألة، والذي يتحرّك مع هذا الجانب الظاهر، كلاهما معًا، ويدخل في جهاز التسجيل هذا، لأنّ الظاهر ليس منفصلًا عن حقيقة الباطن.كان الأنطاكيّ قاضيًا في الشام، وقد كتب كتابًا باسم «لماذا اخترتُ مذهب الشيعة مذهب أهل البيت». لقد تشيّع وذكر أدلّة تشيّعه في هذا الكتاب. وضع صورته عندما كان قاضي القضاة في أوّل الكتاب، وصورته بعد أن تشيّع في آخر الكتاب. ضعوا هاتين الصورتين جنبًا إلى جنب وانظروا إلى هذين الوجهين. الوجه الأوّل هو حقًّا وجهُ قاسٍ، عينان حادّتان، كأنّه يريد أن يضربك بسيف، ولكنّ الوجه الثاني مظلومٌ، ومتواضعٌ، ونورانيٌّ، وفيه بهجة! هذا بسبب ذلك الجانب الأمريّ. إذن، الجانب الأمريّ يؤثّر في الصورة الظاهريّة أيضًا ويُغيّرها.

نطابنجاوزها:نابناجلهبموقذيذلا لمعلا نإف ،كلذىلعءانبلا.

ةمداقلا ةسلجلا يفةلأسملا ةمتتعباتأسالله انقّفو اذإ ،الله ءاشنإ.

دمحمِلآ وِدمحمىلعِّلصَمَّهُللا